الفصل الثالث

موسى وعبادة الأشخاص

- عبادة الأشخاص.
- طغيان فرعون.
- موسى فى الصندوق.
- موسى عند فرعون.
- موسى والمتشاحنين.
- موسى يسقى للمرأتين.
- عمل المرأة والتبرج.
- موسى والوحى.
- موسى وفرعون.
- موسى والسحرة.
- إيمان السحرة.
- خروج موسى ببنى إسرائيل.

obeikandl.com

● **عبادة الأشخاص:**

وهى من الأمور الشركية التى أوقع فيها الشيطان بنى آدم بعد عبادة الأصنام. وهى عبادة الأبطال والملوك والحاكم.

والبطولة فى اللغة: هى الغلبة على الأقران. وهى غلبة يرتفع بها البطل عمن حوله من الناس العاديين إرتفاعًا يملأ نفوسهم له إجلالاً واكبارا. وقديمًا كان البطل فى القبيلة وفى عهود الحياة الأولى للأمم. يعد شخصًا مقدسًا. بل كانوا يظنونه أحيانًا من سلالة الآلهة. وكأنه هبة تهبها لهم. حتى لا يقعوا فريسة لمن سواهم. وحتى لا يسقطوا فى مهاوى لا قرار لها من الإضمحلال والفناء. وعلى نحو ما كانوا يقفون أمام خوارق الطبيعة مشدوهين حائرين شاعرين كأنما تحوطها هالة سحرية. كانوا يقفون أمام البطل مذهولين. كأنما يستر فى طواياه قوى خفية. وهى قوى مكنت له فى رأيهم من الإتيان بالخوارق فى البسالة وقتال الأعداء. ويشعرون بقوته أنه هو الذى يهبهم الحياة. ومن أجل ذلك عبدوه أحيانًا.

وخاصة فى فى عهود الإنسانية الأولى. التى انطمست فيها الأديان. ولم يتبقى منها سوى بعض القشور. حتى ليطلق على بعضها: فترة عبادة الأبطال.

حين كانوا يتراءون لمن حولهم رموزاً لقوى خفية غيبية مجهولة. أو بعبارة أخرى: رموزاً لأشياء إلهية مقدسة. بل كأنما الآلهة هى التى أنجبتهم لحماية من حولهم بما يأتون من معجزات القوة والشجاعة وحسن القيادة والإدارة.

مما دفع الناس إلى عبادتهم كأنهم حقًا آلهة بيدهم حياتهم. وكل ما يحفظها عليهم من أسباب الرزق والبقاء. ويتضح هذا العصر فى تاريخ اليونان القديم. حين مضت تباشير هذا التاريخ تتبلج فى أفق حياتهم المظلم الكثيف. وفى هذا الزمن السحيق – القرن الخامس عشر ق. م – كان يحكمهم ملوك آمنوا أنهم من سلالة الآلهة وقد نسجوا حولهم الأساطير الكثيرة المغرقة فى الخيال. غير فارقين بينهم وبين آلهتهم فى صور الحياة والأحداث. وما ينزلون على الناس من صواعق الموت الذى لا يُبقى ولا يذر. بل كانوا يخلطون آلهتهم بهم إختلاطًا يجعل لهم نفس النوازع البشرية وكأنما طبيعتهم هى نفس طبيعتهم الإنسانية بكل عواطفها فى الحب وغير الحب. وبكل أهوائها وضروب سلوكها. وكل أحقادها وصنوف خصوماتها.

وبذلك وضعوا الآلهة والأبطال فى مرتبة واحدة. سواء فى السلم أو فى الحرب والقتال[١].

وهو نفس الفكر البشرى عن ألوهية الفراعنة فى مصر وحكام بعض الدول الأخرى بل والأكثر من ذلك فى ألوهية المسيح عليه السلام وتعرضه للقتل.. إذ كانوا يقتتلون معهم وتارة يمدونهم بالنصر وتارة يتخلون عنهم. فيذوقون الموت أو يذوقون الذل والهوان على يد الأعداء.

وأخذت تتكون فى هذه الفترة المتعمقة فى القدم أساطير كثيرة فى مخيلة اليونان عن أبطالهم وآلهتهم. ولم يلبثوا أن رتلوا أناشيد شعرية.

وأخذت هذه الأناشيد والأساطير تتضخم حتى قام هوميروس فى القرن العاشر ق. م. بصياغة قصيدتيه القصصيتين الطويلتين الإلياذة والأوديسا والتى تصور الأبطال فى صورة إلهية. والآلهة فى صورة بشرية من خلال حرب اليونان مع أهل طروادة»[٢].

وهكذا عند المصريين يوجد هذا النوع من الأساطير مثل أسطورة إيزيس وأوزوريس والتى تصور الآلهة فى صورة بشرية.

وكان الملوك يحيطون أنفسهم بهالة من التقديس. ويضعون مكانتهم فى إطار من الإلهية. تمويهًا على العامة حتى يضمنوا الطاعة المطلقة. وحتى يأمنوا غائلة الثورات. من الذين يطمعون فى تبوء عرش الملك. مقدرين أن ذلك التقديس يحول بين النازعين إلى الثورة وبين ما يشتهون.

وفى مصر لم يكن الفرعون يريد من قومه غير الطاعة. فأهم شىء أن يكون مفهومًا أن الفرعون يهيمن على جميع أنواع الآلهة ويرمز لها ويتكلم بإسمها. وكان هذا سائدًا فى جميع ربوع مصر.. وعلى حين تعددت الآلهة ظل الشعب المصرى مؤمنًا بإله مركزى هو إله الفرعون. بل هو الفرعون. وكانت الطبقة الحاكمة تقتصر على عبادة فرعون وإنفاذ أوامره. وتصديق استبداده. ومطاوعة أعظم نزواته جنونًا. ولسوف نحس ونحن نتصفح أوراق موسى عليه السلام. كيف كان الشعب المصرى

---

(١) البطولة فى الشعر العربى – شوقى ضيف.

(٢) البطولة فى الشعر العربى – شوقى ضيف.

يعيش فى عصره. وكيف كانت الجماهير مستذلة مستعبدة تطيع الفرعون. وتمضى خانعة تحت ظل وزرائه وقادة جنده وتسمع إلى ادعائه الألوهية دون أن تحرك ساكنا بل وهى مصدقة. ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤].

● **طغيان فرعون:**

إن فرعون طغى وبغى وتجبر وتكبر وآثر الحياة الدنيا وأعرض عن طاعة الرب الأعلى. وجعل الناس شيعًا. أى قسم رعيته أقسامًا وفرقًا وأنواعًا. يستضعف طائفة منهم هم شعب بنى إسرائيل. الذين هم من سلالة يعقوب بن إسحق بن إبرهيم عليه السلام. وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض. وقد تسلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم. فكان يستعبدهم ويستخدمهم فى أخس الصنائع والحرف وأرداها ومع هذا يُذبح أبناءهم.

وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح. أن بنى إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم ما يؤثرونه عن إبراهيم عليه السلام. من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه. وكانت هذه البشارة مشهورة فى بنى إسرائيل. فلما وصلت إلى فرعون من بعض أمرائه. أمر عند ذلك بقتل أبناء بنى إسرائيل حذرًا من وجود هذا الغلام ولن يغنى حذر من قدر.

وذكر ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم: أن فرعون رأى فى منامه كأن نارًا قد أقبلت من نحو بيت المقدس. فأحرقت دور مصر وجميع القبط. ولم تضر بنى إسرائيل. فلما استيقظ هاله ذلك. فجمع الكهنة والحذقة والسحرة وسألهم عن ذلك.. فقالوا له: هذا غلام يولد من هؤلاء يكون سبب هلاكه على يديه. فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان واحترز كل الاحتراز أن لا يوجد هذا الغلام. حتى جعل رجالاً وقوابل يدورون على الحبالى ويعلمون ميقات وضعهن. فلا تلد امرأة ذكر إلا ذبحوه من ساعته. وعند أهل الكتاب: أنه كان يقتل الغلمان لتضعف شوكة بنى إسرائيل فلا يقاومونهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم.

أى لأن لهم عقيدة غير عقيدته هو وقومه. فهم يدينون بدين جدهم إبراهيم وأبيهم يعقوب عليهما السلام ومهما يكن قد وقع فى عقيدتهم من فساد وإنحراف فقد بقى لها أصل الاعتقاد بالله رب العالمين وإنكار ألوهية فرعون الوثنية.

وهناك أحس الطاغية أن هناك خطراً على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة فى مصر. ولم يكن يستطيع أن يطردهم منها وهم جماعة كبيرة. أصبحت تعد مئات الألوف. فقد يصبحون إلباً عليه مع جيرانه الذين كانوا كثيراً ما يقاتلونه فابتكر عند ذلك طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذى يتوقعه من هذه الطائفة التى لا تعبده ولا تعتقد بألوهيته. تلك هى تسخيرهم فى الشاق الخطر من الأعمال وتشتيتهم وتعذيبهم بشتى أنواع العذاب. وبعد ذلك كله تذبيح الذكور من أطفالهم عند ولادتهم واستبقاء الإناث كى لا يتكاثر عدد الرجال فيهم. وبذلك يُضعف قوتهم بنقص عدد الذكور وزيادة عدد الإناث فوق ما يصبه عليهم من عذاب. ومهانة وإذلال باستباحة النساء والحلائل.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أن القبط شكو إلى فرعون قلة بنى إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور وخشى أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنوا إسرائيل يعالجون ويعملون. فأمر الفرعون بقتل الغلمان عاماً. وأن يتركوا عاماً.. فذكروا أن هارون عليه السلام ولد فى عام المسامحة عن قتل الأبناء وأن موسى عليه السلام ولد فى عام قتلهم. فضاقت أمه به ذرعاً واحترزت من أول ما حملت به. ولم يكن يظهر عليها مخايل الحمل. فلما وضعت ألهمت أن اتخذت له تابوتاً فربطته فى حبل. وكانت دارها متاخمة للنيل. فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعته فى ذلك التابوت فأرسلته فى البحر. وأمسكت طرف الحبل عندها. فإذا ذهبوا استرجعته إليها به. فأرسلته ذات يوم. وذهلت أن تربط طرف الحبل عندها فذهب مع النيل إلى دار فرعون.

● **موسى عليه السلام فى الصندوق:**

وهكذا ولد موسى عليه السلام فى ظل تلك الأوضاع القاسية. ولد والخطر محدق به والموت يتلفت عليه. والشفرة مشرعة على عنقه تهم أن تحتز رأسه.

وها هى ذى أمة حائرة به خائفة عليه تخشى أن يصل نبوءة إلى الجلادين وترجف أن تتناول عنقه السكين. ها هى بطفلها الصغير فى قلب المخافة عاجزة عن حمايته. عاجزة عن اخفائه. عاجزة عن حجز صوته الفطرى أن ينم عليه. عاجزة عن تلقينه حيلة أو سيلة. ها هى ضعيفة عاجزة مسكينة. هنا تتدخل يد القدرة. فتتصل

بالأم الوجلة المذعورة. وتلقى فى روعها كيف تعمل وتوحى إليها بالتصرف ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

يا للقدرة.. يا أم موسى أرضعيه فإذا خفت عليه وهو بين يديك. وهو فى حضنك. وفى رعايتك! إذا خفت عليه وفى فمه ثديك وهو تحت عينيك. فألقيه فى اليم! وأيضًا ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ لأنه هنا فى اليم فى رعاية اليد التى لا خوف معها. اليد التى لا أمن إلا فى جوارها والتى لا تقرب المخاوف من حماها واليد التى تجعل النار بردًا وسلامًا وتجعل البحر الهائج المائج ملجأ ومنامًا. اليد التى لا يجرؤ فرعون الطاغية الجبار ولا جبابرة الأرض جميعًا أن يدنوا من حماها الآمن عزيز الجناب «إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين» فلا خوف على حياته ولا حزن على بعده. ولا على مستقبله. ووارد الله لا يعارض. ولهذا ينزل هذا الإيحاء على قلبها الواجف المحرور بردًا وسلامًا. فأطاعته[1].

ويقول الشيخ الشعراوى رحمه الله: وآخر شىء يمكن أن يقوم به أب أو أم حين يريد أن ينجى طفله هو أن يلقيه فى البحر. فالطفل عاجز ضعيف وإلقاؤه فى الماء يعرضه لكل ألوان الهلاك فقد يتعرض لطير جارح يهاجمه ويقتله وهو لا يملك لنفسه دفاعًا ولا بأسًا. وقد تأتى موجه من الماء فتطيح بالسلة فينقلب فى الماء فيغرق فى الحال. فهو لا يعرف شيئًا عن العوم. ولا يستطيع أن يتشبث بشىء إذا سقط فى الماء. وقد تسقط الأمطار فتملأ السلة التى هو فيها فيغرق.

إذن فكل الأخطار محدقة به وموجودة فى إلقائه فى البحر ما عدا فرصة الحياة.. والمنطق والأسباب والعقل كلها تقول: إذا أرادت أم موسى أن تنجيه فلتفعل أى شىء إلا أن تلقيه فى الماء. كان يمكنها أن تخفيه فى مكان بعيد أو تهاجر به إلى خارج مصر.. ولكن الله أمرها أن تلقيه فى اليم حيث يواجه خطر الموت أكثر من مظان الحياة. فكيف تنقذه من موت مظنون لتلقيه فى موت محقق، إنها قدرة الله التى جعلت من هذه الأخطار كلها الطريق الوحيد المضمون لنجاة موسى عليه السلام. لأنه تعالى هو القائل الفاعل ولهذا تتعطل الأسباب.

---

(١) الظلال. (٢) معجزة القرآن – الشعراوى جـ١.

● **موسى عليه السلام عند فرعون:**

والعجيب أيضًا أن يقول الله جل وعلا لها «يأخذه عدو لى وعدو له» فالمفروض عقلاً أن يقول لها مطمئنًا إننا سنبعده عن فرعون كل البعد فإذا كان فى الجنوب أمرنا البحر أن يلقيه فى الشمال وإذا كان فى الشمال أمرنا البحر أن يلقيه فى الجنوب. أما أن يذهب به إليه. فهذا هو عين التحدى. وكأنه تعالى يقول لفرعون: أنت أردت أن تهدم إرادتنا فى موسى فأردنا منك أن تربى أنت إرادتنا. لأن قدرتك وإرادتك لا تساوى شيئًا أمام قدرة الله وإرادته.

والمشهد الثانى ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ** ﴾ [القصص: ٨] سبحان الله.. أهذا هو الوعد؟ أهذا هو الأمن؟ أهذه هى البشارة؟. وهل كانت المسكينة تخشى عليه إلا من آل فرعون؟ وهل كانت ترجف إلا أن ينكشف أمره لآل فرعون؟ وهل كانت تخاف إلا أن يقع فى أيدى آل فرعون؟. نعم! ولكنها القدرة تتحدى بطريقة سافرة مكشوفة تتحدى فرعون وهامان وجنودهما. فهاهى تلقيه فى أيديهم بلا بحث ولا كد. وهو من يطلبون. وهو مع كل ذلك مجردًا من كل قوة. ومن كل حيلة. عاجزًا عن أن يدفع عن نفسه أو حتى يستنجد! ها هى تقتحم على فرعون حصنه وهو الطاغية السفاح ولا تتعبه بالبحث عنه فى بيوت بنى إسرائيل وفى أحضان نسائهم الوالدات! ثم ها هى ذى توضح مقصدها وتحديها ﴿ **لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا** ﴾ [القصص: ٨] ولكن كيف ذلك ﴿ **وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [القصص: ٩] لقد اقتحمت به يدُ القدرة على فرعون قلب امرأته بعد أن اقتحمت به عليه حصنه.. لقد حمته بالمحبة. ذلك الستار الرقيق الشفيف. لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال.

حمته بالحب الحانى فى قلب امرأة. وتحدت به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره. وهان فرعون على الله أن يحمى منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف الحانى[1].

أى أن الجوارى التقطنه فى تابوت مغلق حتى وضعنه بين يدى آسية بنت مزاحم

---

(١) الظلال.

امرأة فرعون. فلما فتحت الغطاء وكشفت الحجاب. ورأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية. والجلالة الموسوية. أحبته حبًا شديداً جداً. فلما جاء فرعون وأمر بذبحه استوهبته منه ودافعت عنه. وقالت «قرة عين لى ولك» فقال فرعون: أمالك فنعم وأما لى فلا. ثم أجرت له اختبار الجمرة والتمرة. فوافق على تبنيه وهم لا يدرون ماذا يريد الله بهم ولسان القدر يقول لفرعون: يا أيها الملك المغرور بكثرة جنوده وشدة بأسه واتساع سلطانه قد حكم العظيم الذى لا يغالب ولا تخالف أقداره. أن هذا المولود الذى قتلت من أجله آلاف الأطفال الأبرياء. لا يكون مرباه إلا فى دارك ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك. وأنت أنت الذى تتبناه ولا تطلع على سر معناه حتى يكون هلاكك وهلاك ملكك على يديه. لتعلم وليعلم الجميع. أن قدرة الله لا تغالب.. وليغلبن مغالب الغلاب[1].

وتربى موسى عليه السلام فى قصر فرعون وتعلم كل العلوم المتاحة فى عصره. شأنه شأن الأمراء حتى بلغ أشده.

● **موسى والمتشاحنين:**

حتى حدث أمر فارق فى حياته عليه السلام. إذ دخل المدينة على حين غفلة من أهلها. فوجد فيها رجلين يتخاصمان ويتصارعان. أحدهما مصرى والثانى إسرائيلى. فاستغاث به الإسرائيلى على المصرى. فما كان منه إلا أن أخذته حميته وشهامته للضعيف والمظلوم على القوى الظالم.. ووكز المصرى فقضى نحبه. فقال هذا من عمل الشيطان وندم واستغفر وعزم على عدم العود لمثلها. وخرج من مصر خائفًا يترقب وهو يقول: رب نجنى من القوم الظالمين. حتى وصل إلى ماء مدين. ووجد عليه جماعة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى تكفكفان غنمهما حتى لا تختلط بغنم الناس. فسألهما عن سر ذلك. فقالتا: لا نقدر على ورود الماء إلا بعد ابتعاد الرعاء. لضعفنا وسبب مباشرتنا هذا العمل ضعف أبينا وشيخوخته.

فسقى لهما ثم عاد إلى الظل ﴿**فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ [القصص: ٢٤] حيث سار من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر. وكان حافيًا سقطت نعلا قدميه من الحفاء. فجاءته إحداهما تمشى على استحياء وأدب أى

---

(١) قصص الأنبياء – ابن كثير.

مشى الحرائر. وقالت: إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا.. فصرحت له بذلك لئلايوهم كلامها ريبة. وهذا من تمام حيائها وصيانتها.

فلما جاءه وأخبره ما كان من أمره فى خروجه من مصر. فراراً من فرعونها.. قال: لا تخف فقد خرجت من سلطانهم فلم تعد فى دولتهم. ونجوت من ظلمهم.

ولعل الله تعالى أراد بهذا الموقف أن يُعد موسى عليه السلام لتحمل أعباء الرسالة والمواجهة مع فرعون. وذلك لأنه تربى كأمير من الأمراء فى قصر الفرعون. يأمر فيطاع. ويشير مجرد إشارة فيحدث ما يريد. وهى حياة دعه وراحة ورفاهية. وهى لا تنبت الرجال الأقوياء. ولهذا أراد الله جل وعلا أن يعوده على تحمل المشاق وينشأه خلقا آخر. فيخرج من مصر خائفًا يترقب مطلوبًا فى ثأر من فرعون وملئه حتى يتحمل المشاق ويتعود على اليقظة. ثم تحفى قدماه ولا يأكل إلا البقل وورق الشجر. ثم يعمل كخادم وأجير لمدة طويلة. وكل ذلك ليقوى عوده وتشتد صلابته. فيصبح أقوى الناس صلابة لأنه سيواجه أشد الناس عناداً ويصبح أعمق الناس إيمانًا لأنه سيواجه أشد الناس كفرًا وجحوداً ونكرانًا.

فقد حكى أحد العلماء المحدثين عن نفسه فقال: كنت مغرمًا فى طفولتى بجمع شرانق الفراش. ومراقبة خروج الفراشة منه فى الربيع. وكان جهادها فى التخلص من شرنقتها وسجنها يثير عطفى دائما وأدرك والدى ذلك فأتى يومًا بالمقص وأعمله فى غلاف الحرير المطبق على الفراشة وساعدها على الخلاص بسهولة. ولكنها ما لبثت أن ماتت. وعندئذ قال لى أبى: يا بنى إن الجهد والمشقة الذى تبذله الفراشة لتخرج من الشرنقة يعطيها قوة فكرية وبدنية ونفسية تؤهلها لمواجهة مصاعب الحياة. وإذا لم تبذل ذلك الجهد خرجت ضعيفة هذيلة لا تلبث أن تموت. وكذلك الناس إذا جهدوا فى سبيل ما يريدون زادوا قوة وعزمًا. ولكن إذا ما واتاهم ما يريدون سهلاً طيعًا غلب عليهم الضعف ومات منهم شىء جليل الخطر.

وهكذا نعلم أن طبيعة الحياة عجيبة لأنها لا تعطينا إلا لتأخذ منا ولا تهب لنا شيئًا إلا لتنال مقابلاً فهى تكيل لنا صاعًا بصاع. فلا غرو إذا كانت آمالنا لا تحقق إلا بين الأشواك فى الأرض الوعرة. وكأنما الدنيا تخفى مفاتنها تحت مصارع المطامع لتدفع الإنسان إلى مواجهتها والتغلب عليها.

ومن ثم نعرف قيمة الشدائد. بل نعرف الفرق بين الأبطال الصناديد والجبناء الرعاديد. إذ الشدائد هى المحك الذى يشكف معادن الرجال.

وليلة من ليالى الدهر كالحة ... باشرت من هو لها مرأى ومصطرعا
ونكبة لو رمى الرامى بها حجرا ... أصم من جندل الصوان لا نصدعا
مرت علىّ فلم أطرح لها سلبى ... ولا اشتكيت لها وهنا ولا جزعا
لا يملأ الأمر صدرى قبل موقعه ... ولا يضيق به صدرى إذا وقعا
كلا. لبست فلا النعماء تبطرنى ... ولا تخشعت من لأوائها جزعا[1]

● **موسى عليه السلام يسقى للمرأتين:**

فقد اطلع موسى عليه السلام عند البئر على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة السليمة الفطرة كنفس موسى عليه السلام.. حيث وجد الرعاه الرجال يوردون أغنامهم لتشرب من البئر. ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء. والأولى عند ذوى المروءة والفطرة السليمة أن تسقى المرأتان وتُصدرا بأغنامهما أولاً: وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما. ولم يقعد موسى الهارب المطارد المسافر المكدود ليستريح. وهو يشهد هذا المنظر المنكر المخالف للمعروف. بل تقدم للمرأتين يسألهما عن أمرهما. فأطلعتاه على سبب إنزوائهما وتأخرهما وذودهما لغنمهما عن ورود الماء.. إنه الضعف والبعد عن الاختلاط بالرجال. وأبوهما شيخ كبير لا يقدر على مجالدة الرجال. وثارت نخوة موسى عليه السلام وفطرته السليمة. فتقدم لأقرار الأمر فى نصابه وسقى للمرأتين كما ينبغى أن يفعل الرجال ذووا الشهامة. مما يشهد على نبل هذه النفس التى صُنعت على عين الله. كما يشى بقوته التى ترهب حتى وهو فى إعياء السفر الطويل. ولعلها قوة نفسه التى أوقعت فى قلوب الرعاة رهبته أكثر من قوة جسمه. فإنما يتأثر الناس أكثر بقوة الأرواح والقلوب.

وبعد رجوعه إلى الظل مستنجداً بالله ملقيًا بحمله فى ذلك الركن الركين. والظل الظليل والحمى الآمن. وما يكاد يستغرق فى تلك المناجاة حتى تأتيه إحدى

---

(١) الجانب العاطفى من الإسلام – الشيخ محمد الغزالى.

الفتاتين فى مشية الطاهرات العفيفات فى غير تبذل ولا تبرج ولا إغواء.. جاءته لتنهى إليه دعوة فى أقصر لفظ وأدله. فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح. فالفتاة القويمة تستحى بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم.. ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب الإضطراب الذى يُهيج ويُغرى ويُطمع. إنما تتحدث بوضوح بالقدر المطلوب ولا تزيد.

وعلى كل حال استجاب موسى عليه السلام للدعوة. فهو فى حاجة إلى الأمن بنفس قدر حاجته إلى الطعام والشراب بل أشد «فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين» ليلقى فى قلبه الطمأنينة ويشعره بالأمان. ثم دعاه للزواج من إحدى ابنتيه. وجعل مهرها العمل لديه ثمانية أو عشرة أعوام. فوافق.. وذلك بناء على قول أحداهما «يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين»[1] فهى وأختها تعانيان من رعى الغنم ومزاحمة الرجال على الماء. ومن الإحتكاك الذى لابد منه للمرأة التى تزاول أعمال الرجال وهى تتأذى من هذا كله وتريد أن تكون سيدة تأوى إلى بيت. امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء فى المرعى والمسقى وما شابه.. المرأة العفيفة الروح الطاهرة القلب لا تستريح لمزاحمة الرجال. ولا للتبذل الناشىء من هذه المزاحمات وتلك المضايقات[2].

● **عمل المرأة والتبرج:**

يقول الشيخ الشعراوى رحمه الله لنعلم أن الذين يطلبون مساواة المرأة بالرجل يطلبون لها الغبن والظلم. ولو أنصفت المرأة لرأت فى هؤلاء خصومها وأعداءها الألداء فالذى يريدها أن تخرج لتكدح مثل الرجل. نسأله؟ هل سويت أنت نفسك بها؟ ومادمت تريد منها أن تعمل عملك. فلماذا لا تعمل أنت عملها؟ فمثلا أنت تحمل أو ترضع بدلا عنها[3].

وهل عمل المرأة يُقصر على المكاتب المكيفة والوظائف المرموقة والإعلام والقضاء والفن والصحافة وضباط الجيش والشرطة. ثم تترك أعمال المناجم والمحاجر وتعمير الصحراء وإستصلاح الأراضى ومصانع الحديد والصلب وقيادة اللوارى والتجنيد فى القوات المسلحة للرجال.

---

(١) القصص ٢٦ وانظر الظلال. (٢) الظلال.
(٣) المرأة فى القرآن الكريم – الشعراوى.

فأى مساواة هذه.. ثم إن فى ذلك اعترافٌ ضمنى برقة وضعف المرأة واختلاف طبيعة خلقها عن الرجل. «وعلى المرأة أن تشكر ربها لأنها تتعامل مع أشرف شيء فى الوجود وهو الإنسان ولكى تؤدى مهمتها معه كأم ومربية فخير لها أن تتعلم وتُعلم أولادها. والمرأة التى لا تريد الإقتناع بهذه المسألة وبهذه المهمة تكون فاشلة. لأن رعاية الأسرة تحتاج كل وقتها. ولو نظرت إلى نشاطها فى الحياة لو فرت على البيت أضعاف ما تأخذه من راتب. ووفرت تكاليف زينتها ومتطلبات خروجها. فإذا وجدت ضرورة لخروجها للعمل فلا مانع أبداً من أن تعمل مع زوجها أو أبنائها أو أحد محارمها. أما العمل الذى يخرجها لتلتحم بالرجال. فالإسلام فى ذلك واقعى. ويقول: لابد وأن نقدر الضرورة بقدرها. فتفهم أنها أنثى فتمشى فى المجتمع بحساب وتزاول عملها بشرط ألا تحتك بالرجل قدر المستطاع»[1].

ولكن المرأة تحب أن تبدو جميلة. وأن تحوز إعجاب كل من يراها وهى ترى فى ذلك أنوثتها. فهى لا تخرج من بيتها إلا عروساً. قد أخذت زخرفها وازينت. ولسان حالها يقول: ألا تنظرون إلى هذا الجمال؟

وهل من راغب فى القرب الوصال؟. فهى للأسف الشديد تعرض جمالها وشرفها فى سوق الشوارع رخيصاً تتداوله الأعين الوقحة.. وزينة المرأة وظهور جمالها الطبيعى والمصطنع بين الرجال غواية واغراء. وشرارة تُضرم ما كمن وخمد فى نفوسهم من شهوة حيوانية. والمرأة المتبرجة هى الشرارة للزنا. ولو احتشمت واجتنبت التبرج والخلاعة فى مشيتها وملبسها وكلامها لما انتشر هذا الفساد والشر المستطير فى أنحاء المجتمع.

قل للجميلة أرسلت أظافرها ... إنى لخوف كدت أمضى هاربا
إن المخالب للوحوش نخالها ... فمتى رأينا للظباء مخالبا
بالأمس قصصت شعرك غيلة ... ونقلت عن وضع الطبيعة حاجبا
وغداً نراك نقلت ثغرك للقفا ... وأزحت أنفك رغم أنفك جانبا
من علم الحسناء أن جمالها ... فى أن تخالف طبعها وتجانبا

---

(١) المرأة فى القرآن الكريم – الشعراوى.

إن الجمال من الطبيعة رسمه إن شذ خط منه لم يك صائبا[1]

وقال الآخر:

لا تعجبنك أوجه مدهونة وتظن أن الحسن بالتلوين

فالقرد ذو قبح وإن حسنته والبدر لا يحتاج للتلوين

وفى الإحتشام حماية للجميع. فهو حماية للأبناء من الإنحراف ومن ظاهرة الزواج العرفى بين الطلبة والطلبات ومن الوقوع فى الخطيئة. وهو حماية للمرأة أيضًا لأن عمر الجمال قصير ومحدود. وسرعان ما يسرع إليه الذبول والأفول. وعنده تأمن على زوجها من غيرها من الفتيات. فالتى تسمح لزوجها ولنفسها بالفتنة عليها أن تسمح لغيرها بذلك فلا تغار.

● **موسى عليه السلام والوحى:**

فلما قضى موسى الأجل المتفق عليه أخذ أهله وقفل راجعًا إلى مصر. وهو فى الطريق. رأى نارًا فظنها من فعل أهل البادية. الذين يوقدون النار عادة على مرتفع من الأرض ليراها السارى فى الصحراء. فتكشف له الطريق أو يجد عندها الضيافة والكرم. ومن يهديه إلى الطريق. ولهذا كان حاتم الطائى يقول لخادمه.

علَّ يرى نارك من يمر فإن جلبت ضيفا فأنت حر

ولهذا لما رأى موسى النار. استبشر وذهب ليأتى منها بقبس أو جذوة يستدفىء بها أهله. فالليلة باردة. وليالى الصحراء باردة قارة. أو ليجد عندها من يهديه إلى الطريق أو يهتدى على ضوئها إلى الطريق.. لقد ذهب يطلب قبسًا من نار ويطلب هاديًا فى السرى. ولكنه وجد المفاجأة الكبرى. إنها النار التى تدفىء لا الأجسام ولكن الأرواح. النار التى تهدى لا فى السرى ولكن فى الرحلة الكبرى إلى الله..

فإنه لما أنتهى إليها وجدها تتأجج فى شجرة خضراء وكل ما لتلك النار فى اضطرام. وكل ما لتلك الشجرة فى ازدياد. فوقف متعجبًا. فناداه ربه بالواد المقدس طوى. وأمره أولاً بخلع نعليه تعظيمًا وتكريمًا وتوقيرًا لتلك البقعة المباركة. ولاسيما فى تلك الليلة المباركة.. وعند أهل الكتاب أنه وضع يده على عينه من شدة ذلك

---

(١) نعمت صدقى – التبرج.

النور مهابة له وخوفًا على بصره. ثم خاطبه الجليل بقوله ﴿ **إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [القصص: ٣٠] وقوله: ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴾ [طه: ١٤] ثم أخبره بأن هذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما الدار الباقية هى الآخرة التى لابد من كونها ووجودها - ليجزى كل نفس بما تسعى -.

وإن القلب ليجف. وإن الكيان ليرتجف وهو يتصور - مجرد تصور - ذلك المشهد.. موسى عليه السلام فريد فى تلك الفلاة والليل دامس والظلام شامل والصمت مخيم. وهو ذاهب ليلتمس النار التى آنسها من جانب الطور. ثم إذا الوجود كله من حوله يتجاوب بذلك النداء ﴿ **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ** ﴾ [طه: ١٢، ١٣]. إن تلك الذرة الصغيرة الضعيفة المحدودة تواجه الجلال المطلق الذى لا تدركه الأبصار. الجلال الذى تتضاءل فى ظله الأرض والسموات. ويتلقى.. يتلقى ذلك النداء العلوى بالكيان البشرى. فكيف؟ فكيف لولا لطف الله؟! إنها لحظة ترتفع فيها البشرية كلها وتكبر ممثلة فى موسى عليه السلام. فبحسب الكيان البشرى أن يطيق التلقى من ذلك الفيض لحظة. وبحسب البشرية أن يكون فيها الاستعداد لمثل هذا الإتصال.. على نحو من الإنحناء.. كيف؟ لا ندرى كيف.. فالعقل البشرى ليس هنا ليدرك وإنما قصاراه أن يقف مبهوتًا يشهد ويؤمن[1].

يا رب رضاك خير من الدنيا وما فيها ... يا مالك النفس قاصيها ودانيها
فليس للنفس آمال تحققها ... سوى رضاك فذا أقصى أمانيها
فنظرة منك يا سؤلى ويا أملى ... خير لدى من الدنيا وما فيها

﴿ **وَأَنَا اخْتَرْتُكَ** ﴾ فيالتكريم أن يكون الله بذاته هو الذى يختار. يختار عبدًا من العبيد. هو فرد من جموع الجموع. تعيش على كوكب من الكواكب. هو ذرة فى مجموعة. هى ذرة فى المجرة التى هى ذرة فى الكون الكبير. الذى قال له الله: كن فكان! ولكنها رعاية الله بهذا المخلوق وكذلك. «ولتصنع على عينى» وكيف يصف لسان بشرى. خلقا يصنع على عين الله؟ إن قصارى أى بشر أن يتأمله ويتملاه.. وإنها

---

(١) الظلال.

منزلة وكرامة أن ينال الإنسان لحظة من العناية فكيف بمن يُصنع على عين الله. إنه بسبب هذا أطاق موسى أن يتلقى ذلك العنصر العلوى الذى تلقاه[1].

ثم سأله ربه مخاطبًا ومؤانسًا ومبينًا له أنه القادر على كل شيء. الذى يقول للشيء كن فيكون ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ١٧] فلما قال هى عصاى أمره بإلقائها ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٢٠] وهذا خارق عظيم وبرهان ساطع على أن الذى يكلمه هو الذى يقول للشيء كن فيكون.. ووصف ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [القصص: ٣١] أى قد صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة. وهى مع ذلك فى سرعة الجان فلا يقابلها شجر ولا حجر إلا إلتقمته. ففر هاربًا منها لا يلتفت. فناداه ربه قائلاً ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾ [طه: ٢١] فأمسك بلسانها وقيل بذيلها فعادت كما كانت عصى ذات شعبتين.

وقد سأله رب العالمين عما فى يمينه ليقرر ما يعلمه من شأنها. وذلك ليريه منها ما لا يعلمه من شأنها. فلما قرر أنها عصا ميته لا حراك فيها ولا عمل لها إلا ما استعملها فيه. أمره أن يلقيها ليريه منها ما لا يعلمه هو من شأنها. فألقاها فإذا هى حية تسعى. وتسرى الحياة فى كل ذرة من ذرات بدنها. ثم أمره أن يأخذها. فإذا هى عصا ميتة بقدرة المحى المميت وذلك حتى يعلم ويطمئن أنه فى معية المحى المميت الذى حول العصا الميتة إلى حية تسعى. ثم حول تلك الحية إلى عصا ميتة. وذلك حتى يطمئن ولا يخاف من فرعون الذى يدعى أنه يحى ويميت. لأنه يدعى ذلك كذبًا. أما موسى عليه السلام ففى معية المحى المميت بحق.

● **موسى عليه السلام وفرعون:**

ثم أمر الله تعالى موسى بقوله: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

---

(١) الظلال.

وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ [طه: ٤٣ – ٤٧]
وهذا حلمه تعالى وكرمه ورأفته ورحمته بخلقه مع علمه بكفر فرعون وعتوه وتجبره. وهو إذ ذاك أردى خلقه. ومع هذا يقول لهما ويأمرهما أن يدعواه إليه بالتى هى أحسن وبرفق ولين. ويعاملاه بألطف معاملة رجاء أن يتذكر أو يخشى.

فأتيا فرعون وقالا له: إنا رسول رب العالمين. وبلغاه ما أرسلا به من دعوته إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له. وأن يفك أسارى بنى إسرائيل من قبضته وقهره ويتركهم يعبدون ربهم ويتفرغون لتوحيده. فتكبر ونظر إلى موسى عليه السلام بعين الازدراء والتنقص قائلاً له: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ١٨ – ٢٠] أى قبل أن ينزل الوحى علىّ.

ثم سأله عن ربه. فأجابه أنه خالق كل شىء. وهادى كل شىء لمهمته ورازق كل شىء. ورافع السماء. وباسط الأرض إلى نهاية دلائل قدرته تعالى ولكنه فى نهاية المطاف تكبر وأبى. وطلب منه معجزة تدل على صدقه فى الإبلاغ عن الله. فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين. فضحك فرعون وظن أن ذلك نوع من السحر والدجل الذى برع فيه كهنته وسحرته. وتوعده أن يواجهه بمن هم أمهر منه ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٦ – ٥٩].

أى قال: إن هذا الذى جئت به سحر ونحن نعارضك ونتحداك بمثله ثم طلب إلى موسى أن يواعده إلى وقت معلوم. فاختار وقت العيد وفى وضح النهار وأمام جميع الناس. وأرسل فرعون فى المدائن حاشرين يأتون بكل سحار عليم. حتى إذا اجتمعوا عنده قالوا له: أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال: نعم وإنكم لمن المقربين. أى وعدهم بالمال والسلطان إن هم انتصروا على موسى عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ * قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم

بعذاب وقد خاب من افترى * فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى * قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى * فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ﴾ [طه: ٦٠ – ٦٤]. وحضر الناس – الشعب – بأكمله ليشهدوا هذا الموقف العظيم وخرجوا وهم يقولون ﴿ لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ [الشعراء: ٤٠].

وهيهات!. كذبت والله الظنون وأخطأت الآراء. فكيف يعارض السحر والبهتان خوارق العادات والمعجزات التى أجراها الديان على يدى عبده الكليم ورسوله الكريم عليه السلام.

فقالوا لموسى قول الواثق من صنعته المتقن لحرفته: إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى. قال بل ألقوا. فألقوا حبالهم وعصيهم ﴿ فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ﴾ [الشعراء: ٤٤]. فإذا بها تتحرك فى عيون الناس ومتحولة إلى حيات وثعابين تتلوى ﴿ فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴾ [الأعراف: ١١٦] وحتى موسى عليه السلام خيل إليه من سحرهم أنها تسعى. فخاف موسى على الناس. أن يفتنوا بسحرهم ومحالهم قبل أن يلقى ما فى يده. وخاف إن هو ألقاها تحولت إلى حية واحدة تغيب وسط آلاف الحيات التى سحروا بها أعين الناس فيكون الظهور والغلبة لهم. فأوحى الله تعالى إليه ﴿ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى * وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ [طه: ٦٨، ٦٩] فالقى وهو يقول: ﴿ ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾ [يونس: ٨١ – ٨٢].

والمعروف أن الساحر لا يسحر. فهو يتلاعب بعيون الناس ولكنه لا يستطيع أن يغير طبيعة الأشياء. فهو يرى عصيانه وحباله وعصى وحبال باقى السحرة كما هى. ولكن ما أن ألقى موسى عليه السلام عصاه حتى تحولت إلى حية حقيقية تسرى الحياة

فى كل ذرة من ذرات بدنها وتتحرك بسرعة الجان ثم أقبلت على ما ألقوه من الحبال والعصى وجعلت تلقفه وتبتلعه واحداً بعد الآخر فى أسرع ما يكون من الحركة.. والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها. واطلع السحرة على أمر لم يكن فى حسبانهم ولا يدخل تحت قدراتهم فتحققوا بما لديهم من العلم أن هذا ليس بسحر. ولا شعوذة ولا زور ولا بهتان. بل حق لا يقدر عليه إلا الحق. فألقى السحرة ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ** ﴾ [الأعراف: ١١٧ – ١٢٢]. وذلك لأن السحرة هم أقدر الناس على فهم المعجزة التى تختلف كل الإختلاف عن سحرهم.

● **إيمان السحرة:**

فآمنوا وقد كانوا منذ لحظة مأجورين ينتظرون الجزاء من فرعون. ولكن الحق الذى مس قلوبهم قد حولهم تحويلا. لقد كانت هزة رجتهم رجا وخضتهم خضا. ووصلت إلى أعماق نفوسهم وقرارة قلوبهم. فأزالت عنها ركام الضلال. وجعلتها صافية حية خاشعة للحق عامرة بالإيمان فى لحظات قصار. فإذا هم يجدون أنفسهم ملقين سجدا بغير إرادة منهم تتحرك ألسنتهم فتنطق بكلمة الإيمان فى نصاعة وبيان. وهكذا انقلب السحرة المأجورون مؤمنين من خيار المؤمنين. على مرأى ومسمع من الجماهير الحاشدة. ومن فرعون وملئه. لا يفكرون فيما يعقب جهرهم بالإيمان فى وجه الطاغية من عواقب ونتائج. ولا يعنيهم ماذا يفعل أو ماذا يقول.

ولابد أن كان لهذا الإنقلاب المفاجىء وقع الصاعقة على فرعون وملأه. وأمام الجماهير الحاشدة التى رأت تلك الهزيمة المدوية والتى اعترف بها السحرة الذين كانوا منذ لحظات من جنود فرعون.. وإنه لأنقلاب يتهدد عرش فرعون. إذ يتهدد الأسطورة الدينية التى يقوم عليها هذا العرش أسطورة الألوهية التى يكرسها الكهنة ويؤكدها السحرة. فإذا هى فى غمضة عين سراب أمام الجميع : ﴿ **قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ**

إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ * قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧١ – ٧٦].

● **خروج موسى ببنى إسرائيل:**

وظل فرعون وأعوانه فى اضطهاد موسى ومن آمن معه. حتى أمر الله تعالى موسى عليه السلام بالخروج. فمضى مهاجراً من مصر. وركب فرعون وملأه طالبا موسى وبنى إسرائيل فى جيش عرمرم حتى أدركهم عند شروق الشمس. وتراءى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس وعاين كل من الفريقين صاحبه. ولم يبق إلا المقاتلة. قال أصحاب موسى: إنا المدركون. وذلك لأنهم اضطروا فى طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا محيد. وفرعون قد لحق بهم. وعاينوه فى جنوده وجيوشه. وعَدده وُعدده. وهم منه فى غاية الذعر والخوف. فقال موسى عليه السلام: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء: ٦٢] ونظر إلى البحر وهو يتلاطم بامواجه ويتزايد. وهو يقول: ها هنا أمرت فلما تفاقم الأمر وضاق الحال وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر واقترب فرعون وجنوده. أوحى رب العرش العظيم إلى موسى الكليم ﴿ **أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ** ﴾ [الشعراء: ٦٣] فضربه وهو يقول: «انفلق بإذن الله. فانفلق حتى أصبح قائمًا مثل الجبال مكفوفا بقدرة الله. والطريق فى وسطه يابسا حتى جازه وعبره موسى عليه السلام ببنى إسرائيل. فلما جاوزه وخرج آخرهم. وقدمه أول جيش فرعون ورآه فرعون على هذه الحال. هاله هذا المنظر العظيم. ولكنه أظهر لجنوده تجلداً. وحملته نفسه الكافرة وسجيته الفاجرة على أن قال: لقد انفلق البحر من هيبتى

وانحسر لأدرك عبيدى الأبقين من يدى الخارجين على طاعتى وملكى. واقتحم البحر ووراءه جنوده فارتطم عليهم كما كان فلم ينج منهم أحدا !! ﴿ **وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** ﴾ [يونس: ٩٠ – ٩٢].

* * *

obeikandl.com

المصـــادر

١ – القرآن الكريم.

٢ – تفسير القرآن العظيم – للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير.

٣ – فى ظلال القرآن – فضيلة الأستاذ الشيخ سيد قطب رحمه الله.

٤ – تفسير فضيلة الشيخ الجليل محمد متولى الشعراوى رحمه الله.

٥ – قصص الأنبياء – ابن كثير رحمه الله.

٦ – إغاثة اللهفان – الإمام ابن القيم رحمه الله.

٧ – قصص الأنبياء – الشيخ عبدالوهاب النجار.

٨ – أنبياء الله – الأستاذ أحمد بهجت.

٩ – قصص الأنبياء – فضيلة الشيخ عبدالحميد كشك رحمه الله جـ٤.

١٠ – الجانب العاطفى من الإسلام – فضيلة الشيخ محمد الغزالى رحمه الله.

١١ – تلبيس إبليس – الإمام ابن الجوزى رحمه الله.

١٢ – أوروبا والإسلام – الإمام عبدالحليم محمود رحمه الله.

١٣ – العرب قبل الإسلام – الدكتور محمود عرفه.

١٤ – البطولة فى الشعر العربى – الدكتور شوقى ضيف.

١٥ – معجزة القرآن – فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى رحمه الله.

١٦ – المرأة فى القرآن الكريم – فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى رحمه الله.

١٧ – التبرج – الأستاذة نعمت صدقى.

* * *

obeikandl.com